المحور السابع : التراتب الاجتماعي.

1- مفهوم التراتب الاجتماعي :

هو تنسيق نتج لسبب جغرافي ومعنوي لجماعات البشر في أطر وهيئات معينة تحت مراعاة المنفعة والمصلحة العامة وقدرات أفراد الجماعة البشرية بحيث المجتمع يتهيكل الجميع في بناء اجتماعي يكفل تفعيل ونفع أكثر أفراده.

وهي قضية شائكة ويمكن القول بأن "التراتب الاجتماعي" يعني الطبقات الاجتماعية، خاصة في المجتمعات التي لا تزال تسيطر عليها الانتماءات القبلية والعائلية والطائفية.

2- التراتب الاجتماعي في الغرب الإسلامي :

في نوازل ابن الحاج نراه يُبرِز التدرج الطبقي في الأندلس؛ حيث قسم الناس إلى ثلاث طبقات: الأغنياء، ومتوسطو الحال، والمقلُّون ،وفي ما يخص طبقة الحكام والأعيان يشير إلى تفشِّي ظاهرة استغلال النفوذ والشطط في استعمال السلطة، وغيرها من الآفات الاجتماعية؛ حتى إن بعضهم كان يرغم الناس على بيع ممتلكاتهم كما أن بعضهم تمكَّن من تنمية ثرواته عن طريق التسليف بالف.

فمجتمع الغرب الإسلامي كان مجتمعا طبقيا ، منذ أن كان يعيش ضمن النظام القبلي بحيث نجد في أعلى قمة هرم القبيلة شيخ القبيلة ثم بعده الأعيان وفي وسط الهرم المزارعين والحرفيين والغرباء وفي قاعدته العبيد والمهمشون ، وحتى بعد نشأة الدول الكبرى بالغرب الإسلامي لم تتبدد الطبقية بحيث بقي الهرم على ماهو عليه فقط زادت مراتبه ،بحيث نجد الطبقة الحاكمة ، ثم طبقة الفقهاء والعلماء وهذا مابرز في العهد المرابطي ،طبقة العامة ثم الطبقة الدنيا التي تضم العبيد والمهمشين ، وقد تتفرع كل طبقة إلى فئتين بحيث نجد في الطبقة الحاكمة ، الأسرة الحاكمة على راسها السلطان واهله وذويه ومقربيه ،وفئة قادة الجيش والوزراء والكتاب ،في طبقة الفقهاء والعلماء قد نجدها تتفرع إلى فئة القضاة ثم فئة العلماء والفقهاء ، والطبقة العامة تشمل فئة الفلاحين والحرفيين والتجار الصغار ،ففئة التجار الكبار تكون أحيانا من الطبقة الخاصة المقربة من الحاكم وهذا ما ذكرته المصادر في مكانة التجار الكبار في البلاط الزياني .

وحتى المجتمعات القبلية التي حافظت على النظام القبلي ظلت تعيش تحت نظام الطبقات وظل شيخ القبيلة والأعيان هم من يتربعون على قمة الهرم ولهم علاقات وطيدة مع حاكم الدولة فيحصلون على امتيازات عدم دفع الضرائب و ينتفعون بنصيب من غنائم الحروب التي يشارك فيها فرسان القبيلة .

فمجتمع الغرب الإسلامي شكل نموذجا لمجتمع تراتبي تتفاوت فيئاته وشرائحه الاجتماعية نتيجة تفاوتها في الثروة والاراضي والمراعي والجاه والسلطة والنفوذ .